رسائل ضلت الطريق

العاشرة بتوقيت اللاشيء.. اعتادت أن تجلس بالزاوية وبجانبها مصباح خافت،موسيقى وتبدأ بسرد حماقاتها وهلوستها على الورق الذي تقوم بإرساله على ذات العنوان منذ أكثر من عامين متتاليين دون رد!

أمسكت بالقلم ثم رسمت خطًا عريضا لا يمثل أي شيء دائرة بداخلها الكثير من الدوائر بقع كبيرة وأخرى صغيرة،كل ما تفعله هو محاولة فاشلة في تشويه اللون الأبيض على الورق..

صفحة جديدة ثم كتبت له:

يا صديقي

كلهم في المدينة جائعون (لا للطعام)، بل للقطع المعدنية..حكايات جدتي عن عامل الحصادالفقير الذي تلطخ رغيفه بالطين ومع ذلك كان يتقاسمه مع صانع الأحذية هذه الحكايا جعلتني أغرس أناملي في عنق الصبر..

لصوص..

كلهم لصوص يرتدون الفضيلة،يغلقون المعابر والجسور ويفتشون جيوب البؤساء..فمنذ قليل أمسكوا ببائع الورد وسجنوا بائع الجرائد ثم قتلوا بائع العصافير؛ لأن عصافيره تغرد خارج أسرابهم،اعتقلوا الشاعر الذي تقاسم معي فنجان قهوتي ذات يوم،لأن أشعاره لا تتناسب مع

مــزاج شــيخ القبيلــة..الهروب مــن المدينــة تشــتهيه أقدامي،الهروب إلى حقول السنابل وثورة الراعي حيث لا نوافذ وهكذا نتمكن من سرقة الضوء والهواء..

السبت الموافق ٢٠١٣/٦/٢..

هي لا تعرف ما المقصود بهذه الرسالة، فهي كتبتها فحسب.. يوم آخر، ولكن خالي من الرسائل مليء بالشرود، وصمت حتى البغباء المرافقة لها بالغرفة خرساء لا تجيد تقليد الأصوات ولا إطلاق الصفارات كما تفعل البغبغوات الأخريات..

خروجها من غرفتها يشبه الهجرة من الوطن فخارج جدرانها هي غريبة ومغتربة فاقدة لهوايتها وملامحها، تجلس مع أسرتها من باب إسكاتهم وإيقاف سيل الأسئلة التي تنهال عليها،أكثر الأوقات راحة بالنسبة لها هي تلك التي تكتب فيها الرسائل..

عودة للورق ورسالة جديدة:

على أول سطر،كانت أول الخيبات حيث أنها لا تعرف من أين تبدأ الحديث، وعلى، أي شيء سوف تتحدث تركت السطر الأول لاحتمالاتها الأولى ثم قفزت على السطر التالي وكتبت:

يامن كنت لي قلب و روح إليك أكتب ولم يكن مصيري إليك..

ذوبان ملامحي وصمتي.. صخورهم وغرق أوراقي و وهمي.. فمن سيعاتب القدر؟! لا تنتظر لن أرسل لك، الرسائل الملغمة بشهوات القلم.. ولن نفترش سويا عشب القصيدة.. لن أشكي..لن أبكي..، بل سأرقص على أنغام أوجاعك، وأثمل على خصر الكمان.. ثرثرتي كثيرة.. وحماقاتي أكثر.. أريد أن أخرج من عالمي الضيق، وأصنع عطرا للنسيان ليتني ما عانقت ذلك الليل.. حتى عانقني الصباح..، ولكن لدي الكثير..الكثير.. لدي قهوة و أرق وأغاني حزينة بائسة.. ولدي شجاعة كافية للبوح.. وشجاعة أكثر للكذب..!

لا شيء يستحق توقيعي كن بخير إن أردت.

لم تفي بوعدها وعاودت الكتابة في اليوم التالي ورقة جديدة وحبر، بلون آخر ثم كتبت له:

سأحدثك عن صديق غامض.. مات دون أن يعرف ذلك.. كنت أطارد خوفه.. كما طاردت من قبل عصفورك.. عندما خرج من القفص.. وقرر السقوط من تلقاء نفسه.. قبل أن يسقط بين يدي.. كنت أظن أنه سينجو.. عندما أمنحه الفرصة الأخيرة، للتحليق مرة أخرى..، ولكنه سقط عميقا.. أعمق مما تخيلت وترك لي جناحين للذكرى.. كان يشبهني تماما.. يعد القهوة، وينسى وضع السكر.. ويقول لي إن لم يروقك مذاقها اسكبيها على رأسي.. وأنا لا أحب القهوة بلا سكر..

ومع ذلك كنت أجلس على شفاه حادة لفنجان مر وبعد كل رشفة أتساءل لماذا لم أسكبها على رأسه حتى الآن؟! ولم أجد بالجوار حجارة صغيرة.. ألقيها في وجه لأنه كان يضحك بينما أبتلع أنا قهوته المرة دون شكوى.. كان يملئ فراغ يومي بحماقاته ويشرد بين جدارين داخل غرفة معتمة.. وقام بزرع أسلاك شائكة على حدود عزلته.. ثم وضع لافتة (عدم الاقتراب) وأنا بالعادة لا أحترم القوانين.. لذلك اخترقت جداره العازل.. كان في عمق سقوطه نظر إلي بابتسامة ثم قال: صديقتي أنا أسبقك إلى الهاوية.. أنا من سيضللهم هذه المرة.. وفي ذلك اليوم اعتذرت له كثيرا لأنني لم أتمكن من إنقاذه عندما قرر أن يموت بجرعات هادئة من النسيان.

وهنا توقفت للحظات ثم مزقت رسالتها وألقت بها في سلة المهملات..صفحة أخرى وصمت أعمق من كل مرة ثم كتبت إليه مرة أخرى:

عزيزي ربما أخطأت في قول عزيزي وليكن لا يهم، لا يهم أبدًا..

اليوم سأقود المرايا بعيدا عنك لطالما أتعبك صمتها، وسأقنعك أن الظل لا يضع على رأسه قبعة.. بالأمس كانت الطاولة تهتز بشدة وانسكبت القهوة على الأرض

والريح بالجوار كانت قوية وكل الأشياء كانت تطاير وتسقط عدا أنت!! اعتقد النادل أنني فقدت عقلي عندما طلبت منه أن يحضر لي فنجانا آخر.. وأخبرني أن أمامي

فنجانين من القهوة لم أرتشف منهما شيئا بعد! ورغم أنني كنت أتطلع إلى الجميع وهم يحبسون أنفاسهم ويصرخون إلا أنهم كانوا هادئون.. هادئون للغاية!!

وقد مات أحدهم لأنه فقد ظله.. وذهب لينتظره على الجهة الأخرى.. والآن أنا أصعد السلم وحدي، ولا أعرف هل فقدت نفسي أم فقدت ظلي من ذهب لينتظر الآخر أنا أم هو؟!

لا أعرف شيئًا بشأن كلماتي حتى أنني لا أعرف هل حقًا تقرأها أم أنها تصل للعنوان الخطأ حتى هذه لا أركض كثيرًا خلف معرفتها كل ما أريده هو أن أفرغ كل ماتبقى منك بداخلي حتى لو كان بالكلمات التي لا معنى لها.

كن بخير أو لا تكن لم يعد يهم..

تمضي أيام وهي تكتب رسائل تمزقها وأخرى تقوم بإرسالها وأخرى لا تمزق ولا ترسل تكدسها في أدراجها من أجل اللاشيء،نظرة للمرآة وابتسامة ثم خرجت من غرفتها لتجلس مع أسرتها لتتبادل الضحكات والنكات على أشياء لم يعد لها مذاق..

ورقة صغيرة كتبتها وتركتها بجانب فراشها قبل أن تنام :

إلى الأصدقاء القدامى..

الذين سرقهم الغياب..

إلى الأصدقاء الذين ألهتهم الدنيا..

إلـى هـؤلاء الـذين جمعـتهم الصـدف بنـا وأخـذتهم منـا الحياة..

كونوا بخير أينما كنتم..